ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

اليمن والولايات المتحدة..تحليل استراتيجي شامل في ضوء نظريات القوة والتكلفة والشرعية

عبدالله العروسي

في ٦ أيار/ مايو ٢٠٢٥، أعلن الرئيس الأميركي دونالد ترامب وقف الحملة العسكرية على جماعة أنصار اللّه (الحوثيين) في اليمن، بعد نحو ٥٠ يوماً من العمليات الجوية المكثفة التي بدأت في ١٥ آذار/ مارس ٢٠٢٥ تحت مسمّى «عملية الفارس الخشن» (Operation Rough Rider).

هذا الحدث يُعدّ محطة استراتيجية حاسمة في مسار الصراع، ويستحق تحليلاً معمّقاً يرتكز على نظريات علمية في العلاقات الدولية، والردع، وتحليل التكلفة، إضافة إلى منظور أخلاقي وشرعي عقلاني بعيد عن المبالغة أو الخطاب العاطفي.

*أولاً: السياق العسكري والسياسي للعملية

انطلقت العملية كردّ مباشر على استهداف جماعة أنصار اللّه لعدد من السفن التجارية والعسكرية في البحر الأحمر وخليج عدن، وهو ما اعتبرته الولايات المتحدة تهديداً حراً لممرات التجارة العالمية والأمن البحري.

رغم كثافة الضربات (أكثر من ١٠٠٠ ضربة واستعمال ٢٠٠٠ ذخيرة)، لم تتمكّن العملية من تحييد القدرات العملياتية للجماعة، التي واصلت عمليات الإطلاق ووسّعت نطاقها جغرافياً لتشمل أهدافاً «إسرائيلية».

*ثانياً: تعزيز الإطار النظري: تحليل استراتيجي متعدد الأبعاد

١ ـ نظرية الضغط غير المتناظر (Asymmetric Pressure)

تُشير إلى قدرة القوى الأضعف على فرض تأثير استراتيجي غير تقليدي عبر استهداف مكامن ضعف حيوية لدى الطرف الأقوى، دون الانخراط في مواجهة شاملة.

أنصار اللّه طبّقوا هذا النموذج عملياً من خلال تعطيل مسار التجارة العالمية بضربات منخفضة التكلفة نسبياً، لكنها مرتفعة التأثير.

٢ ـ نظرية الردع غير المتكافئ (Asymmetric Deterrence)

تركز على أنّ الردع لا يتطلب تكافؤاً في القوة، بل يكفي أن يُدرك الخصم أنّ استمرار الضغط سيؤدي إلى تكلفة غير مقبولة سياسياً أو اقتصادياً أو رمزياً.

هذا ما تحقق فعلياً عندما أدركت الولايات المتحدة أنّ كلفة الاستمرار تفوق العائد الاستراتيجي المرجو.

٣ ـ نظرية القوة الذكية (Smart Power)

مفهوم يدعو إلى المزج بين القوة الصلبة (العسكرية) والقوة الناعمة (التأثير الثقافي والرمزي).

استخدم أنصار اللّه هذه النظرية بوعي، إذ رافق العمليات العسكرية خطاب سياسي وإنساني يربطهم بدعم المقاومة الفلسطينية، مما أكسبهم شرعية جماهيرية عابرة للحدود.

٤ ـ مفهوم تكلفة الفرصة (Opportunity Cost)

يُستخدم في الاقتصاد ولكنه قابل للتطبيق استراتيجياً؛ إذ إنّ كلّ قرار يتضمن التخلي عن خيار آخر ذي عائد محتمل.

كان على واشنطن أن تختار بين مواصلة حملة مكلفة في اليمن أو إعادة تموضع استراتيجي لمواجهة تهديدات أكثر إلحاحاً في بحر الصين الجنوبي وأوروبا الشرقية.

٥ ـ الشرعية الثورية مقابل الشرعية الدولية

في السياقات المضطربة، كما في اليمن، تكتسب جماعة أنصار اللّه شرعية «ثورية» تستمدها من الدفاع عن قضايا كبرى (كفلسطين أو السيادة الوطنية)، وتتفوّق أحياناً على الشرعية الدولية التقليدية المرتبطة بالاعتراف الأممي.

أنصار اللّه استثمروا هذا البعد لإعادة تعريف موقعهم كفاعل إقليمي.

*ثالثاً: تحليل الكلفة الاستراتيجية للولايات المتحدة وحلفائها

مالياً: تجاوزت الكلفة المادية للحملة مليار دولار خلال أقلّ من شهرين، وفق تقارير متقاطعة.

أمنياً: لم تُحقق العمليات تحييداً دائماً لقدرات أنصار اللّه، بل أثبتوا قدرة على المناورة والصمود والتكيّف.

سياسياً: أدّت الحملة إلى تآكل جزء من الصورة الأميركية كضامن للاستقرار البحري، وكشفت حدود فعالية القوة التقليدية في المواجهة.

*رابعاً: الردّ المنهجي على الانتقادات الجوهرية

١ ـ الادّعاء بالاستسلام أو التراجع

إنّ قرار حكومة صنعاء بوقف استهداف السفن جاء في إطار اتفاق تبادلي لوقف القصف، ما يشير إلى توازن قسري، لا خضوع.

التاريخ العسكري يعلّمنا أنّ «التهدئة التكتيكية» قد تكون جزءاً من استراتيجيات أعمق لإعادة التموضع أو البناء الداخلي.

٢ ـ تحميل أنصار اللّه مسؤولية الدمار

الضرر المدني الذي لحق باليمن ناتج عن القصف الأميركي والبريطاني لا عن استهدافات أنصار اللّه، الذين استخدموا وسائل دقيقة نسبياً ضمن قواعد الاشتباك البحرية، ووجهوا ضرباتهم نحو أهداف ذات صلة مباشرة بالصراع الفلسطيني ـ «الإسرائيلي»، أو بتهديد السيادة اليمنية.

*خامساً: الخلفية الاجتماعية والهوية الوطنية كمفسّر سلوكي

يعكس السلوك الجمعي لأنصار اللّه استجابة عميقة لتاريخ طويل من التهميش، والاحتلال، والتدخل الخارجي.

وقد تجذّر في الوعي الشعبي خطاب «المقاومة» كمكون من مكونات الهوية الوطنية اليمنية، خصوصاً بعد حرب ٢٠١٥.

يمكن الاستناد هنا إلى أدبيات إدوارد سعيد وبنديكت أندرسون حول تشكّل الهويات الوطنية تحت الضغط الكولونيالي والعسكري.

*سادساً: البعد الأخلاقي والشرعي الإسلامي

من منظور إسلامي عقلاني، فإنّ نصرة المستضعفين، ورفع الظلم عن الشعوب، يُعدّ من أعظم مقاصد الشريعة.

قال تعالى:

«وما لكم لا تقاتلون في سبيل اللّه والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان» (النساء: ٧٥).

كما أنّ الدفاع عن الكرامة والسيادة والوطن يدخل في باب الجهاد الدفاعي، الذي يقرّه جميع الفقهاء.

والأهمّ أنّ هذه المواقف لم تكن شعارات، بل كانت مدعومة بأفعال ملموسة، مما يمنحها شرعية عملية، لا مجرد رمزية.

*خاتمة تحليلية

إنّ تجربة أنصار اللّه في مواجهة القوة الأميركية تُعدّ نموذجاً تطبيقياً معاصراً لاستخدام استراتيجيات متعددة المصادر:

عسكرية ـ عبر الردع اللامتناظر.

سياسية ـ عبر شرعية القضايا العادلة.

اقتصادية ـ عبر رفع تكلفة الفرصة للخصم.

إعلامية ـ عبر بناء سردية مقاومة أخلاقية.

هذا التحليل يُظهر أنّ نتائج الحروب لا تُقاس فقط بعدد الضربات أو المواقع المستهدفة، بل أيضاً بقدرة الطرف المقابل على إعادة صياغة التوازنات، وفرض شروطه، أو تغيير سلوك خصمه.

استنساخ اتفاق لبنان في غزة؟

توقعنا في هذه الزاوية قبل شهور أن يؤدي الاستعصاء في الحرب الإسرائيلية على غزة، والفشل بتهجير سكانها من جهة، وإسقاط سلاح مقاومتها من جهة أخرى، إلى البحث عن حل سياسي ترضى به حكومة بنيامين نتنياهو، بعد أن يكون الضغط في الشارع وجيش الاحتلال قد بلغا مراحل يصعب تجاهلها، وبلغ الضغط الخارجي الشعبي والسياسي والحكومي مراحل متقدمة يصعب احتواؤها.

الحل المتوقع وفقاً لمصادر متابعة للمشهد المأساوي إنسانياً في غزة، والصورة البطولية الملحمية التي يكتبها الشعب والمقاومة معاً، يستبدل نزع سلاح المقاومة الذي يرفعه اليوم بنيامين نتنياهو كشعار للحرب يترجم مفهوم النصر الذي يسعى إليه، بإبعاد السلاح عن خطوط التماس مع الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨، في عسقلان وأشدود شمالاً وغلاف غزة شرقاً.

الدعوة لإبعاد السلاح عن الحدود يشبه ما تضمنه اتفاق وقف إطلاق النار في لبنان، في ترجمة معدلة زمنياً لأولويات القرار ١٧٠١، حيث انسحب حزب اللّه لصالح الجيش اللبناني وقوات اليونيفيل من جنوب الليطاني، والمطروح لغزة وفقاً للمقترح الجديد، أن تنسحب المقاومة بأسلحتها وتشكيلاتها المقاتلة الى دير البلح وخان يونس ورفح، من شرق وشمال غزة، وأن تنتشر في الشرق والشمال قوات الشرطة الفلسطينية التي يُعاد تأهيلها تحت قيادة مصرية، ويمكن أن يُضاف إليها وجود قوات دولية رمزية أو فعلية.

تقول المصادر إن النقاش حول هذا المقترح قد ينطلق في الدوحة الأسبوع المقبل مع المؤشرات السلبية لما تصفه القيادة الإسرائيلية بالحملة البرية التي طال التبشير بها، والتي لا يعوّل عليها المعنيون في جيش الاحتلال أن تحقق نتائج تذكر في ضوء المشاكل الكثيرة التي يعاني منها جيش الاحتلال.

المصادر تقول إن الجانب المصري والقطري لم يناقشا المقترح الجديد مع قيادة حركة حماس بانتظار الحصول على موافقة أميركية وقبول إسرائيلي بنقاش المقترح، بعدما حسمت حماس موافقتها على تسلّم لجنة الإسناد المجتمعي التي تشرف عليها مصر مسؤولية الإدارة المدنية في غزة بعد الحرب، وأن تتولى الأمن الشرطة الفلسطينية تحت الرعاية المصرية.

اختبار إدخال المساعدات إلى قطاع غزة سوف يكون المدخل لإطلاق التفاوض حول المقترح الجديد، كما تقول المصادر.

البناء

تزامن ذكرى النكبة مع حرب الإبادة في غزة والعوامل التي تعيق تكرارها...

حسن حردان

تزامناً مع ذكرى النكبة الفلسطينية التي تحلّ في الخامس عشر من شهر أيار كلّ عام، تتصاعد المخاوف من أن تشهد غزة تكراراً لتلك المأساة التي وقعت عام ١٩٤٨، وأدّت إلى تهجير مئات آلاف الفلسطينيين من أرضهم وديارهم.

لكن الأسئلة التي تطرح في هذا المضمار هي:

ما مدى إمكانية تكرار نكبة جديدة، بناء على الظروف والعوامل التي أدّت إلى النكبة الأولى ومقارنة بالواقع القائم حاليا في قطاع غزة.

أولاً، على صعيد العوامل التي أدّت إلى حصول نكبة عام ١٩٤٨:

في هذا الإطار يمكن القول إنّ عدة عوامل تاريخية وسياسية وعسكرية تضافرت وأدّت إلى إحداث نكبة عام ١٩٤٨، من أهمّها:

١ ـ المشروع الصهيوني وأهدافه: سعت الحركة الصهيونية منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى إقامة ما سُمّي «وطن قومي لليهود في فلسطين»، وتضمّن ذلك خططاً لزيادة الهجرة اليهودية إلى فلسطين والسيطرة على الأراضي الفلسطينية.

٢ ـ الدعم البريطاني: قدّم الانتداب البريطاني على فلسطين تسهيلات كبيرة للحركة الصهيونية، ومنظماتها الإرهابية المسلحة لا سيما الهاغاناه، اراغون، وشيترن، بما في ذلك وعد بلفور عام ١٩١٧ الذي دعم إقامة «وطن قومي للصهاينة في فلسطين»، مما مهّد الطريق لزيادة الهجرة وشراء الأراضي...

٣ ـ التفوق العسكري للعصابات الصهيونية التي حظيت بدعم مباشر تدريباً وتسليحاً من جيش الاحتلال البريطاني، بما يفوق كثيراً القوات الفلسطينية غير النظامية ومعظم الجيوش العربية التي تدخلت لاحقاً...

٤ ـ العمليات العسكرية المنهجية: شنّت العصابات الصهيونية عمليات عسكرية واسعة النطاق قبل وبعد إعلان قيام الدولة الصهيونية، استهدفت المدن والقرى الفلسطينية بهدف إخلاء سكانها. تضمّنت هذه العمليات مجازر وترهيب وتدمير للمنازل والممتلكات في نحو ٥٠٠ مدينة وبلدة وقرية فلسطينية، بهدف دفع أبناءها للهجرة هربا من الإرهاب الصهيوني...

٥ ـ الضعف العسكري والسياسي العربي والفلسطيني:

على الرغم من الرفض العربي لقرار التقسيم، إلا أنّ الاستعداد العسكري والسياسي لمواجهة المشروع الصهيوني كان ضعيفاً وغير منسق بشكل كافٍ.. فيما كانت أغلب الحكومات العربية خاضعة وتابعة لقوى الاستعمار البريطاني والفرنسي اللذين دعما العصابات الصهيونية في احتلال فلسطين، ومارسا الضغط على الحكومات العربية لتسهيل هجرة الفلسطينيين.. والعمل على سحب قواتها من فلسطين...

ثانياً، هل يمكن أن تتكرّر النكبة من خلال حرب الإبادة في قطاع غزة؟

هناك أوجه شبه مقلقة بين ما حدث في عام ١٩٤٨ وما يجري في غزة حالياً، مما يثير مخاوف جدية بشأن إمكانية تكرار النكبة، وإنْ اختلفت الظروف والتكتيكات:

١ ـ التهجير القسري والتشريد: يتبع كيان العدو الصهيوني نفس الأساليب التي اتبعها عشية نكبة ٤٨، حيث يقوم بشت حرب إبادة لإجبار الفلسطينيين على الهجرة مغادرة قطاع غزة هرباً من الجحيم الصهيوني، مما أدّى إلى حصول عملية نزوح جماعي غير مسبوقة داخل القطاع، حيث تمّ تهجير الغالبية العظمى من السكان المجازر الصهيونية التي تتواصل دون توقف من خلال القصف العشوائي للأحياء السكنية.. وهو ما يوازي إلى حدّ كبير النزوح الذي حدث في عام ١٩٤٨، وإنْ كان داخل حدود قطاع صغير ومحاصر حالياً.

٢ ـ التدمير الشامل للبنية التحتية: تتعمّد قوات الاحتلال تدمير المنازل والأحياء والمرافق الحيوية على نطاق واسع جداً، مما يجعل القطاع غير صالح للسكن ويعيق بشكل كبير عودة النازحين. هذا التدمير المنهجي يشبه إلى حدّ كبير تدمير القرى والمدن الفلسطينية في عام ١٩٤٨ لمنع عودة سكانها إليها.

٣ ـ التصريحات النازية والعنصرية والمشاريع الصهيونية: صدرت عن بعض المسؤولين في كيان الاحتلال تصريحات وتحليلات تشير إلى إمكانية أو رغبة في تقليل عدد السكان الفلسطينيين في غزة أو تشجيع ما أسموه «الهجرة الطوعية»، وهو ما يذكّر بالخطاب الصهيوني الذي سبق النكبة الأولى والذي أشار إلى فكرة «الترانسفير» (الترحيل).

٤ ـ الحصار وسياسة العقاب الجماعي: يفرض كيان الاحتلال حصاراً خانقاً على قطاع غزة منذ سنوات، وقد تفاقم بشكل غير مسبوق خلال الحرب الحالية، مما يمنع دخول الغذاء والماء والدواء والوقود والمساعدات الأساسية. هذا أدّى إلى خلق ظروف معيشية لا تطاق، أشبه بسياسة «التجويع» التي يمكن أن تدفع الناس إلى النزوح بحثاً عن البقاء، وهو ما يندرج في إطار سياسة الضغط لإجبار الفلسطينيين على الهجرة الجماعية من القطاع.

٥ ـ غياب الأفق السياسي ومنع حق العودة: لا يزال كيان الاحتلال يرفض بشكل قاطع حق العودة للاجئين الفلسطينيين الذين هجروا في عام ١٩٤٨، كما أنه يقاوم أيّ حلّ سياسي يضمن إقامة دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة. هذا الانسداد السياسي يعني أنّ التهجير الحالي، إذا أصبح دائماً، سيكون جزءاً من واقع مستمر من سلب الحقوق.

ثالثاً، العوامل التي تعيق تكرار النكبة:

على الرغم من أوجه الشبه المقلقة، هناك فوارق وعوامل قد تمنع تكرار النكبة عام ١٩٤٨ بحذافيرها، أبرزها:

١ ـ الوعي الدولي والتغطية الإعلامية: على عكس عام ١٩٤٨ حيث كانت الأحداث تجري بعيداً عن أعين العالم إلى حدّ كبير، فإنّ حرب الإبادة الحالية في غزة تحظى بتغطية إعلامية واسعة ويتمّ رصدها من قبل منظمات حقوق الإنسان والمؤسسات الدولية، مما يزيد من صعوبة تنفيذ خطط التهجير القسري بشكل كامل بمعزل عن ردود الفعل الدولية.

٢ ـ التحذيرات الدولية: صدرت تحذيرات واضحة من قبل الأمم المتحدة والعديد من الدول والمنظمات الدولية من خطورة التهجير القسري وكونه يشكل انتهاكا للقانون الدولي.

٣ ـ الصمود الفلسطيني: يظهر الشعب الفلسطيني في غزة صموداً استثنائياً وتمسّكاً بأرضه، رغم المجازر والدمار والمعاناة الإنسانية القاسية التي يفاقمها الحصار التجويعي.. إنّ إصرار الفلسطينيين القوي على البقاء على قيد الحياة في وطنهم رغم حرب الإبادة التي يتعرّضون لها، تمثل تحدياً كبيراً لأيّ محاولة لتهجيرهم بشكل دائم.. خصوصاً أنهم أخذوا العبرة والدرس من التهجير الأول عام ٤٨.

٤ ـ المقاومة المسلحة الشديدة لقوات الاحتلال والتي تظهر إرادة وقدرة على خوض حرب العصابات والمدن واستنزاف جنود الاحتلال وتكبيدهم الخسائر الفادحة، هذه الإرادة والقدرة على القتال في ظلّ موازين قوى مختلة مئة بالمئة لصالح جيش الاحتلال، فاجأت القادة الصهاينة، والعالم أجمع وأذهلتهم، مما حال دون تحقيق الأهداف الإسرائيلية وأدخل حكومة العدو برئاسة بنيامين نتنياهو في مأزق يتفاقم باستمرار بسبب تزايد الإنقسام الداخلي الإسرائيلي حول الاستمرار في الحرب، وتصاعد ضغط الرأي العام العالمي المندّد بحرب الإبادة الصهيونية، وانكشاف زيف الرواية الصهيونية في العالم، وتبدّل مواقف العديد من الحكومات الغربية التي باتت تدعو إلى وقف الحرب وتطالب باخذ إجراءات عقابية ضدّ «إسرائيل».

٥ ـ موقف الدول المجاورة: ترفض دول الجوار، وخاصة مصر، بشكل قاطع أيّ مخططات لتهجير الفلسطينيين من غزة إلى أراضيها، مما يغلق أحد المسارات المحتملة للتهجير الجماعي خارج القطاع.

بناء على ما تقدّم يمكن القول إنّ العوامل التي أدّت إلى نكبة عام ١٩٤٨، وخاصة لناحية المخطط «الإسرائيلي» لإحداث تغيير ديموغرافي والتفوق العسكري واستخدام القوة المنهجية، يبدو أنها تتجلى بصور مختلفة في حرب الإبادة الجارية في غزة، مع عمليات تهجير قسري وتدمير واسع النطاق وتصريحات تثير القلق بشأن مستقبل الشعب الفلسطيني. ومع ذلك، فإن مستوى الوعي الدولي، والتحذيرات القانونية، والصمود والمقاومة الأسطورية للشعب الفلسطيني، ورفض الدول المجاورة لاستقبال النازحين، تشكل عوامل قد تمنع تكرار النكبة بنفس السيناريو تماماً، أيّ التهجير الجماعي خارج حدود فلسطين.

يبقى السؤال ماثلاً حول ما إذا كانت الحرب ستنجح في تحقيق هدف ضمني يتمثل في جعل غزة غير قابلة للحياة بشكل دائم، مما يدفع جزءاً كبيراً من سكانها للبحث عن مستقبل في مكان آخر، وهو ما قد يعتبر شكلاً محدثاً ومغايراً من أشكال النكبة المستمرة التي يعيشها الشعب الفلسطيني منذ عام ١٩٤٨. إنّ منع حدوث ذلك يتطلب وحدة وطنية فلسطينية، وتحركاً عربياً فاعلاً يتجاوز حدود الاستنكار، وتحركاً دولياً جاداً لوقف الحرب، ورفع الحصار، والضغط من أجل حلّ سياسي عادل يضمن حقوق الشعب الفلسطيني، بما في ذلك حق العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على أرض فلسطين.